د هـ . لورنس

D. H. LAWRENCE

للأستاذ نجرى قسطندى

لعل د . هـ لورنس أحد القصصيين المحدثين بالدراسة والبحث وأحقهم بالذكر والتنويه . فهو ظاهرة طبيعية فذة كتلك الظواهر التي تبرز إلى عالم الوجود كلما ارتقى الفكر وتقدم العصر وتعقدت الحضارة . وهو كغيره من الكتاب له نواح من الإجادة والافتنان يغبطه عليها القارىء والناقد ، وله نواح من النقص والضعف ينعيها القارىء والناقد أيضا . وتفسير ذلك هين ميسور ، ذلك أن لورنس كان فنانا مطبوعا ، ولكنه يخشى أن يتملك الفن زمام نفسه ويطغى على حواسه ، فهو يضطرب لذلك أشد الاضطراب ، ويجزع لذلك أشد الجزع ، وما دام في نفس الفنان اضطراب وجزع ، ففي نتاجه اختلال وقصور .

ولورنس أمير من أمراء الكتابة الفنية عند الإنجليز بلا مراء ، لا يسبقه في هذا المضمار أحد من كتاب القرن العشرين . ولا غرو فقد كان بادرة في انتقاء الكلمة اللائقة ، وصياغة الاستعارة المبتكرة ، تتصرف أنامله الرقيقة الصناع في اللغة فتخلقها خلقا جديدا ، وتضفي عليها ثوبا شعريا جميلا تجعلها أقرب الشبه بالشعر المنثور منها بالنثر الرقيق الأنيق .

وينفرد لورنس من بين سائر الكتاب بالجدة والطرافة والإبتكار التي تبدهك دون كبير انتباه فيما تقرأ له من وصف وقصة ومقال . وحسبه أنه كاتب الفكرة وأنه كاتب العاطفة ؛ ولكنه ليس كاتب الفكرة الصرفة أو العاطفة الخالصة . فهو يقول « أنا أفكر » ثم يستدرك سريعا ويقول « أنا أحس » . ومن ثم فإن الفكرة والعاطفة عنده تتداخلان وتتشابكان وتطغى كل منهما على حدود الأخرى . وعهدنا بالعاطفة المشبوبة أن لها شأنا كبيرا في تلك الرنة الموسيقية الرائعة التي تشيع في كتابات كبار الأدباء وأئمة الروائيين . فلا عجب إذن أن يكون لأسلوب لورنس وقع جميل وسحر أخاذ .

ولد لورنس من أب سكير عربيد ، يشتغل بالتعدين في قرية

٣٠ . ٢٦

بالقرب من نوتنجهام ، وقد حرم عطف الأب منذ نعومة أظفاره ، إذ كان أبوه منهمكا على اللذات غارقا في غمرة من الفاسد والموبقات ، فلم يلق بالا إلى أسرته ولم يرع مصالحها ، غير أن حدب الأم عوضه ما قد فقده من عطف الأب . إذ كانت أمه تنفث فيه موجة إثر موجة من ذلك الحب الحبيس الذي كانت تحتجزه لزوجها أيام أن كانت تعده رجل أحلامها ومحط آمالها . ويحدثنا لورنس في كتابه «أبناء وعشاق Sons And Lovers» كيف أن أماً ذاقت أهوال الجحيم كي تتعهد وليدها المريض بالرعاية والعناية ، وتنقذه من التهلكة والموت .

وليس ثمة شك في أن لورنس كان يصور جزءا من نفسه وبعضا من أمسه حين يعرض لهذا الحدث وما على شاكلته من الأحداث التي اكتنفته في طفولته . وقد شعر لورنس بحب الأم المفرط يجيش في كيانه ويجري في عروقه فيأسره ويتملكه . وقد يكون حب الأم خيرا في عالم يمكث فيه الأطفال أطفالا ، غير أنه شر مستطير في عالم يشبون فيه عن الطوق ويدخلون في طور الرجولة . فكما أن المرء يفسد طفله كلما بالغ في إعزازه وتدليله ، كذلك أفسدت تلك الأم وليدها بما أغدقت عليه من حب جامح فياض . فقد انقلب حب لورنس لأمه وجدا وهياما ، ويتجلى ذلك بوضوح في مرثيته التي يشيد فيها بذكرها والتي مطلعها :

معشوقتي الصغيرة ! محبوبتي !

أقبلك قبلة الوداع ، يا أحب مخلوق إلي .

فهنا استحالت عاطفة البنوة إلى صبابة وولهه ، ولم يعد لورنس ينظر إلى أمه كشيء أثير عنده عزيز عليه فحسب ، بل كمحبوبة حليقة بالتشبيب والتقديس . ويقول مدلتون مرى Middleton Murry في كتابه « ابن امرأة Son of a woman » الذي ترجم فيه للورنس « أنه لم يكن في مقدوره أن يسبغ حبه على امرأة أخرى ما دامت أمه على قيد الحياة . ولقد كان لهذه التنشئة أثر ضار ، إذ أشرب كاتبنا عقيدة جديدة شاذة ناضل عنها بكل قواه ، وضحى في سبيلها بما كان يرتجى له في ميدان الأدب من رفعة وسمو وجاه ، فما وهنت له عزيمة ، وما فترت له همة . وما خف له حماس حتى دهمه الموت وفارق الحياة .

ذلك أن لورنس ذهب إلى القول بأنه ما من سبيل إلى فهم

الحياة على حقيقتها ما لم تتصل بالمرأة اتصالا جنسيا ، فتقرب الشقة بيننا وبين الجنس الآخر ونفهم نياته وخفاياه ، ونطلع على أحاجيه وأسراره ونبرزها للعيان . وما كانت الحياة عند لورنس إلا رجلا وامرأة ، رجلا سيرنا أغواره واستقصينا أعماقه وأدركنا ماهيته ، وامرأة تحيطها هالة من الإبهام والغموض والإلتواء والتعقيد ،

ولا أمل لنا فى فهم الحياة ما لم تبد لنا المرأة كما هى مجردة عارية من جميع الدوافع والنوازع والمغريات والمؤثرات . وإذا كانت الحياة كذلك فلا غنى للرجل عن المرأة ، ولا غنى للمرأة عن الرجل ، فكلاهما شطر يكمل الآخر ولا ينفصل قط عنه . ومن ثم فليس ببعيد أن تثير سيرة المسيح فى لورنس الحقد والموجدة ، وتؤجج فى صدره نيران الغيظ والكراهية ، إذ كان المسيح الشخصية الوحيدة الفريدة فى تاريخ البشرية التى تهدم نظريته من أساسها . فلم يلجأ المسيح إلى المرأة يبتغى منها أن تملأ ما فى حياته من فراغ وأن تسد ما بها من نقص . ولم يدع المسيح إلى الحياة الجنسية يؤزرها ويعضدها ، بل فرق ما بين الروح والجسد بنطاق من الطهر والعفاف ، وأحدث خرقا لا سبيل إلى رتقه ما لم ترجع إلى الحياة البدائية الأولى حيث كان اتصال الجنسين حرا طليقا لا تعوقه العوائق ولا تعترضه العقبات .

والفتح الجديد الذى فتحه لورنس فى القصة هو محاولته أن يفلسف الجنسيات . ولا أدل على ذلك من أن أسلوبه يدع فى مرماه ومغزاه ، إذ هو يسمى فى غير خجل وحياء إلى التعبير عن العلاقات الجنسية بين العشاق ، وما تستتبعه من لذة ونشوة حسيتين عظيمتين ، وقد يصيب لورنس ويجيد ويوفى على الغاية ، وقد يخطىء ويخفق ويقصر دون بلوغ الغاية ، ولكنه على ذلك كله حاول أن يبتدع أسلوبا غير معهود من قبل فيما كتب الكتاب وألف المؤلفون . ومن الكتاب من يثنى على لورنس لنجاحه فى التعبير عن الجنسيات ، ومنهم من يرثى لفشله فى هذا الضرب من الكتابة دون اعتبار لأى معيار من معايير الأخلاق . فما زالت تدوى حتى الآن تلك الصرخة : الفن للفن Art fo arts saek . والذى يعنينا هو أن لورنس كان يعمد إلى كد الذهن ، وإعنات الفكر ليتحقق ما كان ينشده من التعبير عن الجنسيات فى لغة مثيرة غنية بالصور الحسية والاستعارات غير المألوفة . فما كانت التهمة الجنسية وما يدخل فى نطاقها من لذة ونشوة غير مشاعر واحاسيس خفية لا يسهل الافصاح عنها إلا عن طريق المجاز ، وبرغم ذلك كله فإن لورنس لم يظفر بالنجاح المنشود ولم يبلغ الغاية المرموقة .

ويبدو لنا التجديد الذى أدخله لورنس على القصة قويا رائعا أخاذا فى تقديمه لقصته « عشيق ليدى تشاترلى Lady Chatleily's Loves » بقوله « إن الصورة التى يفيض عليها الشعور ويحسها هى التى تقرر حقا مصائر حياتنا ، وهنا تكمن الأهمية العظمى للقصة حين نتصرف فيها تصرفا صحيحا فى مقدورها أن تقود فيض شعورنا المتسق فى مواضع جديدة وفى مقدورها أن تقود شعورنا بعيدا فى ارتداده عن الأشياء التى انتهت إلى العدم . ومن ثم كان فى استطاعة القصة حين نتصرف فيها تصرفا صحيحا على المواضع الخفية جدا فى حياتنا ، لأن فيض الشعور المرهف فى حاجة إلى أن يحس ويتدفق منظما ومجدد فى الأماكن الخفية العاطفية فى حياتنا » ، والذى لا شك فيه هو أن لورنس يريد أن يصور الحياة كفيض يتعاقب عليه الجزر والمد . فالحياة إذن أفراح وأتراح ، وحب وبغض ، وآمال وآلام وحقائق وأوهام ، وتفاهة وخطر ، إلى غير ذلك مما يضمه كتاب الحياة الذى بين دفتيه . أما ما يعنيه لورنس بفيض الشعور وانحساره فهو أن النفس البشرية ذات خوالج مختلفة ونوازع متنافرة . ونحن لا نرى فى الشخوص التى يعرضها علينا لورنس فى قصصه الطويلة والقصيرة إلا النفس فى حالة قبضها وبسطها ورضائها واستيائها

وحين ينقم لورنس على المدنية الحديثة ، ويصب جام سخطه عليها يضع نصب عينيه فلسفته للجنسيات . فالمدنية الحديثة معتلة معوجة ، مختلة مضطربة ، متداعية منهارة ، لأن الإنسان الحديث أطلق العنان للعقل . وأسلم له قياده ، وتركه يهيمن على عواطفه ، ويسيطر على حياته . حتى بلغ الأمر بالعاطفة أنها صارت تتاجر تافها للعقل ، ولورنس ينحى باللائمة على الرجل المتمدين الحديث لأنه بإذعانه للعقل ، أفقر الدم الذى هو ينبوع العاطفة ، ومن ثم فقد أرسل لورنس غضبته المدوية بأن على المرء أن يحيا حياة عاطفية لا تكبلها الأديان ولا تحدها الطرق . ولورنس يذهب إلى أبعد من هذا فينادى بالاتصال الجنسى ويحث عليه ، إذ أن فيه تحقيقا

للحياة الفطرية العاطفية القديمة التي لا يشوبها تكلف وتصنع أو أوشاب وأدران .

ولورنس يحمل على المدنية الحديثة لأنها حطت من قدر الحياة القديمة ، وشوهت من قيمتها . ذلك لأن التكالب على جمع المال ، وتحصيل الثروة وطلب الجاه ، وحب السيطرة والرئاسة ؛ دفعت بالمرء في طريق غير مأمون العاقبة ، فأخمدت شعوره بدلا من أن تذكيه ، وأسكنت عاطفته بدلا من أن تثيرها ، ومن ثم فقد صار من الصعب أن يأخذ فيض الشعور وانحساره طريقه المعهود .

هذه النقدات الجارحات التي أرسلها لورنس عن طريق قصصه أثارت ثائرة النقاد عليه ، وأحفظتهم ضده ، فحملوا عليه حملات شعواء ونددوا بآرائه وكتبه . وكأنه أراد أن يقابل العدوان بالعدوان ، فلجأ إلى إصدار قصته الطويلة «عشيق ليدي تشارلي» التي وصف فيها وصفاً سافراً العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة . والواقع أن رغبته الجامحة في أن يكتب لجمهرة القراء قصصاً تكشف بوضوح عن انحسار العاطفة وفيضها كان بليغ الأذى بعيد الضرر .

ولقد قصر لورنس نفسه في مستهل حياته الأدبية على وصف ذلك اللون من ألوان الحياة الذي يدور على حياة المعدنين المضطربة التعسة ، وتفوههم الحزينة الكسيرة ، وآمالهم المحطمة الذابلة . ولقد وفق لورنس في هذه الناحية توفيقاً بعيداً ، وأجاد إجادة كبيرة لا تتوفر إلا فيمن خبروا مثله صنوف الألم ومتاعب الحياة في مهد الصبا وميعة الشباب . فلما تألق اسمه في سماء الأدب حين حظيت قصته الطويلة « الطاووس » بالرواج والذيوع ، ترك هذا اللون من ألوان القصص إلى غيره مما لم يستكشف من قبل ، وما أتينا على ذكره حين عرضنا لفلسفته . فلما كانت قصته الطويلة « عشيق ليدي تشارلي » ، لم يجد بداً من أن يشد رحاله بعيداً عن انجلترا حيث أغضب الرأي العام ، وابتدأ تجواله في طول الأرض وعرضها ، فزار فرنسا وإيطاليا وألمانيا ، واستقر به المطاف في المكسيك . وهناك عاش ناعم الحال رضي البال يحيا لفلسفته ويعيش على كتبه ، وهناك أيضاً خبر الحياة البدائية الطبيعية البعيدة عن أدران المادية والمدنية .

وصفوة القول أن لورنس كاتب شاعري النزعة يحتل مكانه في عالم الأدب بجانب أميلي برونتي ، وتوماس هاردي وغيرهما من الكتاب الذين حاولوا أن يفهموا الحياة ككل ، فلم يعرضوا لها من جانب واحد يقتلونه دراسة وبحثاً . ولئن كان لورنس قد تنكب جادة الصواب في بعض الأحيان ، فله بعض العذر إذ عاش عيشة مضطربة قاسية أملت عليه ما أذاعه للرأي العام .

ومهما يكن من شيء فللورنس على القصة فضل كبير ، إذ أدخل عليها الجرأة في التفكير والصراحة في التعبير .

فتحي قطشي

ليسانسيه الامتياز في الأدب الانجليزي

مجلس مديرية بني سويف

(الادارة الهندسية القروية)

تقبل العطاءات لغاية ظهر يوم ٢٤ / ٤ / ١٩٤٦ عن عملية تعلية أرض المجموعة الصحية القروية وأرض الحمامات والمغاسل العمومية بناحية بوش ولغاية ظهر يوم ٢٥ / ٤ / ١٩٤٦ عن عملية إنشاء سور المجموعة الصحية القروية بناحية بوش مركز ومديرية بني سويف ويقدم الطلب على ورقة تمغة من فئة الثلاثين مليما للحصول على الشروط والمواصفات لكل عملية على حدة من الإدارة الهندسية القروية نظير دفع مبلغ ٥٠٠ مليم للاولى و٧٠٠ مليم للثانية بخلاف ١٥٠ مليم أجرة البريد ويمكن الاطلاع على الرسومات بالإدارة المذكورة أو بمصلحة الشئون القروية ٣٤ شارع مجلس النواب بمصر

٥١٧٣